

ملاحظات حول ملف «اللغة العربية والوحدة القومية» (*)

عباس علي السوسوة

باحث من اليمن.

تضمّن الملف ثلاثة أبحاث عالجت هذه القضية من زوايا مختلفة وبمناهج متباينة، أثار الموضوع كماً وكيفاً. وهذه ملاحظات على الأبحاث الثلاثة نوردتها بقصد تصحيح بعض القضايا الجزئية التي وردت فيها، ونعتقد أنها بحاجة الى توضيح للمثقفين المهتمين بهذا الموضوع. ولا نزعّم أن ملاحظتنا هي الصواب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، بل نراها الصواب الذي يحتمل الخطأ. في البحث الأول الذي قدمه أحمد الحمو وهو بعنوان: «حول واقعنا اللغوي في الماضي والحاضر» ذكر ان القرآن الكريم منذ أن نزل «أخذت لغة قريش تنتشر مع انتشار الدين الاسلامي» (ص ٦٧). وهذه الفكرة - كون الفصحى لغة قريش ونزول القرآن بها - من الأفكار الشائعة رغم عدم صحتها.

والذين ذهبوا إلى هذا القول كثيرون في القديم والحديث، ولهم أدلتهم التي تتركز في الآتي^(١):

- ما تمتع به القرشيون من مكانة سياسية ودينية واقتصادية بين العرب في الجاهلية والاسلام.

- ان عثمان بن عفان قال للثلاثة الذين كتبوا المصاحف: ما اختلفتم وزيد بن ثابت في شيء فاكتبوه بلغة قريش، فإنما نزل بلسانهم.

(*) نُشر هذا الملف في: المستقبل العربي، السنة ١٠، العدد ١٠٦ (كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٧)، ص ٦٧ - ١٣٢.

(١) انظر مثلاً: أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص في فلسفة اللغة العربية، تحقيق محمد علي النجار، ط ٢، ج ٣ (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٥٢ - ١٩٥٦)، ج ١، ص ٤١١؛ أبو الحسين أحمد بن زكريا بن فارس، الصحاحي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق السيد أحمد صقر (القاهرة: عيسى الحلبي، ١٩٧٧)، ص ٣٣ - ٣٤؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق وتعليق أحمد محمد قاسم (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٧٦)، ص ١٩٨؛ علي عبد الواحد وآفي، فقه اللغة، ط ٨ (القاهرة: مكتبة نهضة مصر، ١٩٧٦)، وصبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ط ١٠ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٣)، ص ٦٧ - ٧٠.

- خلو لغة قريش من بعض الظواهر المفرقة في المحلية، كالكشكشة، والعنعنة، والتلتلة، والطمطانية... الخ.

وما ذهبوا اليه غير صحيح للأسباب التالية:

- إن القائلين بذلك يتناقضون مع أنفسهم، فالسيوطي نفسه في كتابه **الاتقان**^(١) يقرر أن في القرآن ما وقع بلغة غير الحجاز، ويذكر من ذلك أمثلة كثيرة.

- أن الله تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿... وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً...﴾^(٢). ويقول: ﴿بلسان عربي مبين﴾^(٣)، ﴿كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً...﴾^(٤). فهو إذاً عربي لا قرشي.

- حين أشاد الرسول (ص) بفصاحته ذكر أنه قرشي واسترضع في سعد بن بكر^(٥) وهي من عليا هوازن. فهل كانت سعد بن بكر أفصح من قريش!!

- حينما ذكر النحاة القبائل الفصيحة كادوا يقصرونها على قيس وتميم وأسد وهذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين.

- لم يكن لقريش من النشاط الأدبي ما لغيرها من القبائل الأخرى، فلم نسمع عن شاعر قرشي فحل في الجاهلية، في حين أن القبائل الأخرى فيها من الشعراء الفحول المشهورين عدد كبير. وكان عمر بن أبي ربيعة أول شاعر فحل من قريش.

- ذكر النحاة واللغويون القدماء صفات لغوية اتسمت بها لغة الحجاز، وتخلت عنها اللغة العربية المشتركة (الفصحى)، ومالت الى لغة غيرها من القبائل، يكفي أن نذكر هنا منها ظاهرتين:

الأولى: ظاهرة تسهيل الهمزة: فمعلوم أن القرآن الكريم تسود فيه ظاهرة تحقيق الهمزة، أي نطقها بشكل إغلاق حنجري، والمصادر القديمة كلها تجمع على أن لغة الحجاز - وقريش منها - كانت تخفف الهمزة، وأن التحقيق لغة تميم^(٦).

الثانية: عدم التوافق الحركي في الضمائر: والتوافق الحركي في الضمائر من سمات الفصحى، مثل: به، عَلِيهِ، فِيهِ. نجد الحركة - وهي الكسرة التي تتولد عنها كسرة طويلة (الياء) - موافقة للكسرة السابقة أو الياء، وليس الأمر كذلك في لغة الحجاز. قال سيبويه: «فألهاء تكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة... وذلك قولك: مررتُ بهي قَبْلُ، ولديهي مَالُ، ومررتُ بدارمي قبل. وأهل الحجاز يقولون: مررتُ بهُو قَبْلُ، ولديهُو مَالُ، ويقولون: «فَحَسَنَتَا بهُو وِبِدَارهُو الأرض»^(٧).

(٢) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. **الاتقان في علوم القرآن**. تحقيق أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: عيسى الحلبي، ١٩٦٥)، ج ١، ص ١٧٥ - ١٧٨.

(٣) **القرآن الكريم**. «سورة الاحقاف»، الآية ١٢.

(٤) المصدر نفسه، «سورة الشعراء»، الآية ١٩٥.

(٥) المصدر نفسه، «سورة فصلت»، الآية ٢.

(٦) السيوطي. **الاقتراح في علم اصول النحو**، ص ٥٦.

(٧) أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه، كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧١ - ١٩٧٩)، ج ٣، ص ٥٤٢. انظر أيضاً أمثلة كثيرة حول ذلك في: أحمد علم الدين الجندى، **اللهجات العربية في التراث** (طرابلس، ليبيا: دار العربية للكتاب، ١٩٨٢)، ص ٣١٨ - ٣٣٠. و أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، **معاني القرآن**. تحقيق محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠)، ج ٢، ص ٤٠٢، ٣٥٦، ٣٥٧ و ٣٦٥.

(٨) سيبويه، المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٩٥. انظر أيضاً: محمود فهمي حجازي، **علم اللغة العربية: مدخل**

تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية (الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٣)، ص ٢٢٩.

وبعد، فاللغة التي نزل بها القرآن الكريم هي اللغة العربية المشتركة التي تخلصت من السمات اللهجية المحلية، بما في ذلك السمات المحلية للغة قريش، ولو لم تكن الفصحى لغة مشتركة، لما تحدى القرآن الكريم العرب جميعاً أن يأتوا بسورة من مثله.

لقد بالغ الحموي في تأثير اللغة الفارسية على العربية ولهجاتها، فأطلق عدة تعميمات خاطئة نذكر منها:

١ - ذكر في (ص ٧١) ان اسم الموصل قد تحول إلى صيغة وحيدة جامدة هي «الي» في اللهجات العربية الحديثة، وزاد فقرر في (ص ٧٣) أن ذلك بتأثير الفارسية؛ ونحن نسأله: هل قام باستقراء شامل حتى يصدر هذا الحكم القاطع. أغلب الظن أنه شاهد أفراداً من عدة بلدان عربية تسود فيها هذه الظاهرة، ففاس الغائب على الشاهد، وذلك أمر غير علمي في البحث اللغوي. ولو نظر الباحث الفاضل في اللهجات اليمنية الحديثة في الشمال فحسب، لوجد فيها أكثر من صيغة للأدوات الموصولة، وفي لهجة واحدة هي لهجة «ذمار»^(٩) نجد الموصولات التالية: ذي، الذي، ما، مَن. وفي لهجة صنعاء القديمة نجد: الذي، أي، مَن، ما، هذا دون استقصاء بل مجرد مثال. على أن الباحث في هذا التعميم مسبقاً بإبراهيم أنيس^(١٠)، وشارلز فيرغسون.

٢ - في (ص ٧٢) يذكر التطابق بين الفعل والفاعل في العدد ويزعم ذلك من تأثير الفارسية في لهجات العربية. وهو بذلك ينسى أمراً مهماً، وهو أن هذا التطابق موجود في اللغات السامية أخوات العربية، كالعبرية والسريانية والعربية الجنوبية والحبشية. فلماذا لا يكون ذلك من تأثيرها، لا سيما وأن هذه اللغات كانت سائدة في البلاد التي دخلها الإسلام؛ وهذا التطابق قد تخلت عنه الفصحى، ولم يعد يوجد إلا في قراءة قرآنية، وفي بعض الشواهد الشعرية القليلة. وكل ذلك ذكره علماء العربية، وسموا هذه الظاهرة لغة «أكلوني البراغيث»^(١١)، وذكروا أنها لغة الحارث بن كعب، وأزد شنوءة، وطبىء.

٣ - في (ص ٧٣) أيضاً، ذكر أن ظاهرة استغناء بعض الأفعال عن المفعول به، واللجوء إلى الجار والمجرور، من ظواهر اللغة الفارسية التي «تسللت إلى الفصحى». وفي ذلك نظر؛ فهذه ظاهرة مغرقة في القدم، سماها علماء العربية «التضمين»، وقد جاء في القرآن ﴿... فإنما يشكر لنفسه﴾^(١٢)، ﴿... ان اشكرته...﴾^(١٣)، ﴿... ان اشكر لي ولوالديك...﴾^(١٤)، ﴿... واشكروا له...﴾^(١٥). وهذا مع ورود الفعل نفسه دون حرف جر، قال الفراء: وقوله «واشكروا لي». العرب لا تكاد تقول: شكرتكَ، إنما تقول: شكرتُ لك، ونصحتُ لك. ولا يقولون: نصحتك، وربما قيلنا. قال بعض الشعراء:

(٩) عاصمة محافظة ذمار في اليمن العربية. تبعد عن صنعاء مائة كلم جنوباً.

(١٠) إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ط ٤ (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧١)، ص ٢٤١. و

C.A. Ferguson, «The Arabic Koinc,» *Language* (New York), vol. 35, no. 4 (1959), p. 630.

(١١) انظر: سيبويه، كتاب سيبويه، ج ٢، ص ٤٠: الفراء، معاني القرآن، ج ١، ص ٣١٦، وابن حيان،

البحر المحيط (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٢٨ هـ)، ج ٦، ص ٢٩٧.

(١٢) القرآن الكريم، «سورة النمل»، الآية ٤٠.

(١٣) المصدر نفسه، «سورة لقمان»، الآية ١٢.

(١٤) المصدر نفسه، الآية ١٤.

(١٥) المصدر نفسه، «سورة البقرة»، الآية ١٥٢.

(١٦) المصدر نفسه، «سورة العنكبوت»، الآية ١٧، و «سورة سبأ»، الآية ١٥.

هُمُ جَمَعُوا بِؤْسِي وَنُعْمِي عَلَيْكُمْ فَهَلَّا شَكَرْتُ الْقَوْمَ إِذْ لَمْ تُقَاتِلْ
وقال النابغة:

نصحتُ بني عوفٍ فلم يتقبَّلوا رسولي، ولم تنجح لديهم وسائلِي^(١٧)

وفي أدب الكاتب^(١٨) لابن قتيبة (باب إدخال الصفات وإخراجها) أمثلة كثيرة، منها: شكرتك وشكرت لك، نصحتك ونصحت لك، مكنتك ومكنت لك، اشتقتك واشتقت لك، بلغتك وبلغت إليك، هديته الطريق وهديته إلى الطريق، عددتك منةً وعددت لك، استغفر ذنبي واستغفر من ذنبي، كنييتك أبا فلان وبأبي فلان، سميتك وسميتك بـ، سرقت كذا وسرقت من كذا، سلبتك وسلبت منه، زوجتُه وزوجتُه بـ، رُحْتُ القومَ وإليهم، طرحْتُ الشيءَ وبالشئِءِ، أشابَ الحزنُ رأسَهُ وبرأسِهِ، غاليت السلعةَ وبالسلعة... الخ.

كما نرى في بعض أقوال الحموي تناقضاً، فهو يرى أن العربية لها مستويات عدة يسميها أساليب - ويرى أن الفصحى هي الأوفق والأنسب للتعبير الراقى عن المشاعر والأفكار والمصطلحات العلمية والفنية، ونحن نوافق في ذلك، لكنه في (ص ٧٩) يحاول الرد على من زعم أن الفصحى «تفتقد إلى الأداء المباشر في الخطاب اللغوي» - وهي حقيقة مؤلمة - فيرد بحجج رياضية تفضيلية جدلية، منها أن الأصوات المستعملة في الفصحى هي ذاتها مستعملة في العاميات، وأن المرء (لو) جرب التعبير عن أي مضمون شاء، تارة بالفصحى وأخرى بالعامية لرجحت كفة الفصحى. وإذاً - حسب قوله هذا - يكون ما زعمه عن مستويات في اللغة الواحدة متناقض. و(لو) أداة امتناع لامتناع، تفتح عمل الشيطان.

وفي حديثه عن واقع الفصحى (ص ٨٠ - ٨٥) يخلط بين عدة أشياء متميزة: الأعمال التي كتبت بالفصحى، وطرائق تدريس الفصحى، وطرائق تدريس نحو الفصحى وصرفها، والبحث النحوي العربي قديمه وحديثه. فقد جعلها مترادف دون ضابط، لذلك يكون من العبث الرد على (كل) الأحكام التي ملا بها ما تبقى من مقاله. ويكفي أن نورد واحداً منها.

زعم أننا «ما زلنا ندرس قواعد العربية كما ورثناها من مدرستي البصرة والكوفة، وفيه نظر من وجهين:

الأول: إن القول بوجود مدرستين في البحث النحوي العربي القديم أمر غير مسلم به عند جميع الباحثين المحدثين، والثاني: أن المصطلحات السائدة في البحث النحوي العربي الحديث، وفي تدريس قواعد العربية لا تعود إلى النحاة الأوائل بقدر عودتها إلى نحاة القرنين السابع والثامن الهجريين، وأشهرهم ابن مالك (ت ٦٧٢ هـ)، وابن هشام (ت ٧٦١ هـ). ونظرة مقارنة سريعة بين الكتاب لسيبويه، ومعاني القرآن للفراء، والمقتضب للمبرد (ت ٢٨٦ هـ) وكتب الآخرين، ومؤلفات المحدثين تثبت ما نقول، ولا يتسع المجال هنا لأكثر من ذلك.

بقى بعد ذلك أن نقول أن الحموقد ارتكب بعض الأخطاء اللغوية في مقاله. ولا ندري أكان ذلك من محبته الشديدة للفصحى ودفاعه عنها، أم بتأثير اللغة الفارسية. فهو يكرر (كلما) في الجملة الشرطية الواحدة، وليس الأمر كذلك في القرآن الكريم ولا في الشعر الفصيح. جاء في

(١٧) الفراء، معاني القرآن، ج ١، ص ٥٢.

(١٨) أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، أدب الكاتب، حققه وضبطه غريبه محمد محي الدين عبد الحميد

(القاهرة: المكتبة التجارية، ١٩٦٢)، ص ٤١٩ - ٤٢١.

القرآن: ﴿... كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله...﴾^(١٩). وقال عمر بن أبي ربيعة:

كلما قلتُ متى ميعادُنا ضحكتُ هندُ وقالت: بُعدُ غد

هل نقول إن ذلك بتأثير الترجمة من الفرنسية^(٢٠) (Plus... Plus)، أو نقول إنها بتأثير الانكليزية: (The more... the more). وهو أيضاً ينفي المستقبل بـ «سوف لن»، مع أن (لن) وحدها تفيد نفي المستقبل.

كما يستخدم الحمو (بل و)، وذلك أمر خاطئ أغلب المصححين اللغويين في العصر الحديث، وقالوا بعدم اقتران الواو بـ (بل)، وذهب بعضهم إلى أن ذلك ترجمة للتركيب الانكليزي: (Not only... but also).

أما نحن فنقول: إن اقتران الأداة (بل + و) - وإن لم يرد في نصوص الفصحى - لا يعد خطأ، ولذلك لم يذكره المصححون القدماء بالطبع. على أن ذلك قد ورد عند كثير من الفقهاء والفلاسفة والأدباء. وإليك إشارة إلى بعض الأمثلة:

- ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ): «ولا يكثر فيهم الهلاك بالجوع بل ولا يندر»^(٢١).

- المقرئزي (ت ٨٤٥ هـ): «نحن اصحاب البلاد، بل وإننا أحق بالملك من الممالك»^(٢٢).

- السخاوي (ت ٩٠٢ هـ): «لم يصرح في تراجمهم من كتب الصحابة بذلك بل وما رايت وفاة كلهم بمكة»^(٢٣).

- ابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤ هـ): «على أن المجتهد لا يعترض عليه في أموره الاجتهادية، لكن أولئك المعترضين لا فهم لهم بل ولا عقل»^(٢٤).

- الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ): «هذه العبارة هكذا في نسختنا بل وفي سائر النسخ الموجودة»^(٢٥)، «هكذا وقع في كتب اللغة بل وفي سائر النسخ الموجودة بين أيدينا»^(٢٦).

- الصبَّان (ت ١٢٠٦ هـ): «ومثل أسماء الكتب أسماء التراجم، بكسر الجيم، كالخواتم والعوامل، وكثير

(١٩) القرآن الكريم، «سورة المائدة»، الآية ٦٤.

(٢٠) إبراهيم السامرائي، *فقه اللغة المقارن* (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٨)، ص ٢٩٩.

(٢١) أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، *المقدمة*، تحقيق علي عبدالواحد وافي، ط ٣ (القاهرة: مكتبة نهضة مصر، ١٩٧٩ - ١٩٨١)، ص ١٣٠، ٣٨٧، ٣٩٥، ٥١٠، ١٠٢٢.

(٢٢) تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقرئزي، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، تحقيق محمد مصطفى زيادة (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٤ - ١٩٤٢)، ج ١، ص ٣٨٦.

(٢٣) أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*، ج ١٢ (القاهرة: مكتبة القدسي، ١٢٥٥ هـ)، ج ١٠، ص ٨٥.

(٢٤) أبو العباس أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي، *الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة*، كتب مقدمته وعلق حواشيه وخرَّج أحاديثه وراجع أصوله عبد الوهاب عبد اللطيف (القاهرة: دار الطباعة المحمدية، ١٣٧٥ هـ)، ص ١١١.

(٢٥) أبو الفيض مرتضى بن محمد الزبيدي، *تاج العروس من جواهر القاموس*، تحقيق عبد الستار أحمد فراج [وأخرون]: راجعته لجنة فنية من وزارة الإرشاد والأنباء، ج ٢٢، سلسلة التراث العربي، ١٦ (الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٥ - ١٩٨٥)، مادة «لجج»، ج ٦، ص ١٨٣، ومادة «وئب»، ج ٤، ص ٣٢١.

(٢٦) المصدر نفسه.

من الناس يضمها لحناً. بل وأسماء العلوم. لأن مسمياتها وهي الأحكام المعقولة المخصوصة إنما تتعدد بتعدد التعقل»^(١٧).

يعد البحث الثاني وأعدّه زكريا أبو حمديّة وهو بعنوان «دور اللغة العربية في تكامل الوطن العربي ووحدته: هل اللهجات عامل معاكس للتكامل والوحدة؟» من أفضل أبحاث الملف اللغوي، لما فيه من شمول واستيعاب للمادة، وتدقيق وأناة في البحث. ولسنا بصدد المدح، فكاتب البحث أكبر منه. ونعتقد أنه في حاجة إلى شيء من النقد حول بعض الأفكار الفرعية الواردة فيه.

يقول في (ص ٨٨): «اصطلح العرب في القديم والحديث على استعمال عدة ألفاظ لتسمية التباين اللغوي، خاصة في الكلام. ومن هذه المصطلحات: لغة، لفة، لفة، لفة... الخ، أما الآن فيغلب لفظ لهجة على هذا الاستعمال». ونرى أن مصطلح «لهجة» لم يرد في البحث اللغوي العربي القديم إطلاقاً، حسبما نعلم. في (ص ١٠٠) يقول: «وقد بحث عدد كبير من الكتاب العرب في اللهجات العربية، فقد وضع...».

ونحن - مع احترامنا وتقديرنا للباحث - نرى أنه لم يطلع على كثير مما ذكر عناوينه هنا، ذلك أنه لو فعل لخفف من مدحه لهذه الأعمال، ولما قال إنهم «بحثوا». فالواقع أن بين هذه الكتابات والبحث العلمي الحقيقي بُعد المشرقين، فهي كتابات متعجلة، سطحية، يغلب عليها طابع الإنشائية الفارغة، وعدم التدقيق، والخلط.

ويحتاج بيان أخطاء هذه الكتابات المتعجلة غير العلمية إلى مجلد ضخم. ونكتفي هنا بعرض كتاب واحد مما أورد الباحث الفاضل، وهو لهجات اليمن قديماً وحديثاً^(١٨).

١ - لا يجاوز هذا الكتاب ستاً وتسعين صفحة (٩٦ ص) من القطع المتوسط، وبالحرف الكبير، فكيف يسوغ في العقل أن هذه الصفحات ستبين اللهجات - لا لهجة واحدة - قديماً وحديثاً!!

٢ - خصص المؤلف إحدى وخمسين صفحة (٣٩ - ٩٠) للهجات الحديثة!! ويظهر أنه كتب ما كتب فيه اعتماداً على الذاكرة الخؤون، مستعيداً ظواهر وألفاظاً منقرضة. وما دام الجو قد خلا له، فلا بأس إذا أورد ما يتعجب منه القراء. وهو في هذه الصفحات يحشد ظواهر كثيرة يجعل أغلب ما فيها مجرد إبدال حرب بحرف، أو حركة بحركة، أو إشباع، أو إدغام. وكفى الله الباحثين القتال.

٣ - من أشهر أحكامه الخاطئة التي يرسلها دون تخصيص أو تقييد ما يلي:

أ - «الأصوات في لهجة اليمن الحديثة ثمانية وعشرون صوتاً بعدد حروف الفصحى» (ص ٣٩).

ب - «تبدل الجيم من القاف في لهجة صنعاء وغيرها، فيقال: ماجل بدلاً من ماقل» (ص ٤٥).

ج - «في تهامة تبدل (القاف) إلى همزة كما في مصر فيقولون: الب: قلب، أرض، قُرض» (ص ٤٧).

٤ - حشد في صفتين ونصف الصفحة (٥٤ - ٥٦) ألفاظاً كثيرة زعم أنها منحوتة، ولا نحت

فيها.

(٢٧) أبو العرفان محمد بن علي الصبان، حاشية الصبان على الأشموني على الفية ابن مالك في النحو (القاهرة: عيسى الحلبي، [د.ت.])، ج ١، ص ١٠، وج ٤، ص ١٩٨.

(٢٨) أحمد حسين شرف الدين، لهجات اليمن قديماً وحديثاً (القاهرة: مطبعة الجبلاوي، ١٩٧٠)، وقد حذف الباحث الاسم الأوسط تخفيفاً.

٥ - اختلق ما زعمه (من لهجة تعز - محاوراة بين مهيووب وهزاع (ص ٨٦ - ٨٧). وأشهد أنني ما سمعت كلاماً مثله، أو يشبهه، لا قديماً ولا حديثاً سواء في مدينة تعز، أم في المناطق المجاورة لها. ونقول كما قال بعض القدماء: انقط عليهن، هذا صنعة المفضل!!

لقد أدرج زكريا كلاً من طه حسين، ومحمود تيمور (ص ١٠٦) ضمن أنصار استعمال اللهجات المحلية بدل الفصحى. وفي ذلك نظر. فأما طه حسين فنحسب أن التزامه بالفصحى في الحديث والمحاضرة والكتابة، وكذلك نقده لقصصيين، استخدموا العامية في قصصهم مثل يوسف إدريس ويوسف السباعي وإحسان عبد القدوس، فيه الرد على ما نقله كاتب البحث عن غيره.

وأما محمود تيمور فقد كان ذلك رأياً قديماً رجع عنه، وله قصص قصيرة وروايات وكتب في النقد الأدبي، وأدب الرحلات، وبعض المسرحيات، بل إنه أصدر **معجم الفاظ الحضارة**^(٢٩) وكل ذلك بالفصحى. ويذكر السيد محمد بدوي^(٣٠)، أن محمود تيمور أصدر مسرحية **المخبأ رقم ١٣** في نسختين: قال عن واحدة إنها بالفصحى، وقال عن الأخرى إنها بالعامية... يقول «قشقوش» ماسح الأحذية مخاطباً «بسبوسة» المرأة العجوز: «الخروج ممنوع يا خالتي... كوني مطمئنة على ابن بنتك.. ما الذي تخشيه عليه من هذه الغارات؟ سوف يطرب جداً لمنظر الطائرات وهي تطلق في السماء كأنها النحل، وسوف يصفق لها ويصيح.. يا ليتني كنت مع». وأشار السيد بدوي إلى: «محمود تيمور، **المخبأ رقم ١٣**، مطبعة دار الهلال ١٩٤٩، ص ٢١»، ثم نقل من المصدر السابق (ص ١٠٤) الفقرة نفسها بالعامية: «دول محرّجين ما حدش يخرج يا خالتي.. مفيش جنس واحد دخل يقدر يعتب الباب إلا بعد مايبان بياضها من سوادها. وخايفه على إيه؟ حظي في بطنك بطيخة صيفي.. ابن بنتك دلوقت تلاقه فرحان ومزقطة مستني الطيارات لما تنز في السما زي النحل، ياما حيسقف ويعمل له هيله وهلوله.. يا ريتني معاه يا خالتي نفرش سوا».

ونقل زكريا عن أيفون حداد في كتابها **الإسلام المعاصر وتحدي التاريخ أن حسين مؤنس** يقول: «إن اللغة العربية تعيق عملية التفكير والإبداع عند العرب». ونرى أن ذلك كان رأياً قديماً، وقد رجع عنه الآن بل انقلب إلى عكسه بحمد الله.

يبقى في مقال زكريا أبو حمدية بعض الأخطاء في علامات الترقيم التي تغير المعنى المطلوب، وبعض الأخطاء في رسم الأعلام، كما يلي:

- الصفحة ٨٩، السطر ٢٦: كتب اسم العلم «بوواز»، وهو حر، على أن الباحثين قبله قد رسموه بواحد من الرسمين: بُوعَز، بوس.

- الصفحة ٩٦، السطران ٢٤ - ٢٥: «امرؤ القيس من كندة، قحطان وزهير وعنترة ولبيد من قيس، وطرفة وعمرو بن كلثوم وحارث بن حلزة من ربيعة». والصواب: امرؤ القيس من كندة (قحطان)، وزهير وعنترة ولبيد من قيس، وطرفة وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة من ربيعة.

- الصفحة ٩٧، الهامش ٣٣: الأصمعي (ت ٢١٣ هـ) ... شهر بن حمدويه... تاج العروس للزبيدي (ت ١٢٥ هـ). والصواب: الأصمعي (ت ٢١٦ هـ) ... شَمِير بن حمدويه.. تاج العروس للزبيدي (ت ١٢٥ هـ).

- الصفحة ٩٨، السطر الأخير: للمقدسي (ت ٧٦٣ هـ)، صوابه: (ت ٣٧٥ هـ).

(٢٩) محمود تيمور، معجم الحضارة (القاهرة: مكتبة الآداب، ١٩٦١).

(٣٠) السيد محمد بدوي، مستويات العربية المعاصرة في مصر: بحث في علاقة اللغة بالحضارة (القاهرة:

دار المعارف، ١٩٧٣)، ص ٥١ - ٥٢.

- الصفحة ١٠٠: أورد اسم «عبد المنعم سيد عبد العال» بثلاثة أشكال: سعيد عبد العال في (السطر ١٣)، وعبد المنعم عبد العال في (الهامش ٤٩)، وسيد عبد العال في (الهامش ٥٤). والصواب ما ذكرناه.

- الصفحة ١٠٦، السطران ٦ و ٩: محمد محمود شاكر... يوهان فيك، وصوابهما: محمود محمد شاكر... يوهان فك.

- الصفحة ١١١، الهامش ١١٦: سيد بدوي: مستويات العربية المعاصرة، صوابه: السيد محمد بدوي: مستويات العربية المعاصرة في مصر.

- الصفحة ١١١، الهامش ١١٨: أحمد العطار، صوابه: أحمد عبد الغفور عطار.

أما البحث الثالث وهو للدكتور بنسالم حميش بعنوان: «في سبيل الوحدة اللغوية: مواد أولية من أجل معجم الدارجة - الفصيحة» فقد ذكر فيه الكاتب (ص ١٢٥) أن هدف المعجم الذي يقترحه «مساهمة عملية في محاولات تضييق الشقة بين الفصحى واحدى العاميات الرئيسية».

ونرى أن هذا الهدف النبيل - الذي لا ضير على صاحبه إن سار فيه - سيكون جهداً ضائعاً، كالجهود التي سبقته، ذلك أن اللفظ الفلاني كونه عامياً أو فصيحاً أمر غير مطلق، ولا هو مجرد عن العوامل الثقافية الاجتماعية، فقد يكون لفظ ما غير مستخدم في لغة الأدب أو العلم في زمن، ويأتي عليه زمن يدخل فيه معجم الفصحى. والعكس جائز. وندلل على ذلك بمثال واحد فقط، فنقول: إن لفظ «القط» الشائع الآن في الفصحى المعاصرة، لم يكن له هذا الحظ من الشيعو قديماً. والمطلع على كتب الأدب العامة والناوادر والتاريخ يكاد لا يجد إلا لفظي: السُنُور، والهَرَز. بل إن ابن دريد^(٣١) (ت ٣٢١ هـ) ذهب إلى كون القط غير عربي!! وإذا طالعنا الفصحى المعاصرة وجدنا لفظ «القط» صاحب الانتشار الواسع، وقد نجد لفظ «الهر» على ندره، أما «السنور» فقد اختفى. وهكذا سنة الحياة.

وليست مسألة فصاحة اللفظ قائمة على مجرد وجوده في المعجم القديم، فالمعجم يضم الحي والميت معاً، وفيه الوحشي والمأنوس. ولا شك أن الاعتقاد باحتواء المعاجم العربية القديمة على الفصحى وحده اعتقاد نظري لا غير. ذلك أن المثقف - ولنضرب هنا مثلاً باليمن - قد يجد في لسان العرب في مادة (دمي)^(٣٢): الدم = السنور. وسيفرح وينتشي طرباً، لأنه وجد لفظاً فصيحاً يستخدمه الناس في حياتهم اليومية، لكنه مع ذلك لن يكتب - إن كتب مقالاً في صحيفة أو كتاب - إلا «القط» فتأمل!! وهذا الأمر قد اعترف به بنسالم، وإن أرجعه إلى الجهل!!

وقد انكبَّ باحث على دراسة البحوث والكتب التي حاولت تفصيح العامية في العصر الحديث، وتوصل في ختام بحثه إلى نتيجة مؤداها: «إن الخلاف بين العامية والفصحى ليس في المفردات فقط، وإنما هو خلاف في بنية الكلمة ودلالاتها، وتركيب الجملة، ونظمها. والاعتقاد بأن تصويب الألفاظ العامية المحرّفة من شأنه أن

(٣١) أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب (القاهرة: دار المعارف، [د.ت.]), مادة «قطط»، ص ٣٦٧٤. «الليث: القطة السنورة، نعت لها دون الذكر. ابن سيده: القط السنور، والجمع قِطاط وقِطْطَة، والآنثى قِطَة. وقال كراع: لا يقال قِطَة؟ قال ابن دريد: لا أحسبها عربية.»

(٣٢) المصدر نفسه، ص ١٤٣١.

يعيد الفصاحة على السنة الناس اعتقاد غير صائب، إذ لا يكفي حتى تكون الجملة فصيحة إن تكون ذات الفاظ فصيحة، بل لا بد أن تكون هذه الجملة على سبك ونظم فصيح أيضاً»^(٣٣).

وفي (ص ١٢٧ - ١٢٨): أرجع الباحث الفاضل ألفاظاً دراجة إلى أصول فارسية ويونانية، ولاتينية، وتركية وسريانية، دون سند يدعم به قوله، إلا إذا كان ذوقه وحده هو الحاكم، وذلك أمر غير علمي.

ومن العجب أنه نسب ألفاظاً مثل: برنامج، وطنز إلى التركية!! وذكر أنها «تسربت إلى الداريجة المغربية أيام كان للمغرب السعدي علاقات سياسية وتجارية مع العثمانيين». أما لفظ «طنز» فقد ورد في لسان العرب: «طنزٌ يطنزُ طنزاً: كَلَّمَهُ باستهزاءٍ، فهو طنَّازٌ. قال الجوهري: اظنه مولداً أو معرباً. والطنز السخرية»^(٣٤). فأين كان التأثير التركي حينذاك!

وأما لفظ «برنامج» فمن الفارسية بالإجماع^(٣٥)، وإن كان قد دخل العربية منذ زمن إذ نجده يتكرر في الموطأ للإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ).

ففي (ص ٤١٥) منه نجد «باب البيع على برنامج» وفيه: «... ذلك لازم له ولا خيار له فيه، إذا كان ابتاعه على برنامج وصفة معلومة». ونجد في ص ٤١٦: «ويقرأ عليهم برنامجهم». ويقول: في كل عدل كذا وكذا ملحفةً بصريةً».

وكذا «زِبْطَةٌ سابريَّةٌ، ذُرْعُهَا كَذَا وكَذَا. ويسمِّي لهم اصنفاً من البَنِّ بأجناسه... إذا كان المتاع موافقاً للبرنامج ولم يكن مخالفاً له»^(٣٦).

وبعد: نرجو أن نكون قد وقَّعنا في طرح هذه الملاحظات، وأن لا نكون قد تجنينا على أحد. ونسأل الله أن يغفر لنا زلات أقدامنا، وأن يسد خطانا □

(٣٣) عمر محمد سعيد عبد العزيز، «حركة تفصيح العامية في العصر الحديث: دراسة ونقد»، (رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، ١٩٨٤)، ص ٤٠٨ (غير منشورة).

(٣٤) ابن منظور، لسان العرب، ص ٢٧٠٩.

(٣٥) السيد أدي شير، كتاب الألفاظ الفارسية المعرّضة (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٠٨)، ص ١٥، وابن مكي الصقلي، تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، تحقيق عبد العزيز مطر (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١)، ص ٣٢٥.

(٣٦) أبو عبدالله مالك بن عمرو بن أنس، الموطأ، صححه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة: دار الشعب، [د.ت.]).